أحكام الجنازة

© حقوق النشر والطبع محفوظة

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو إعادة طبعه أو إختزان مادته العلمية أو نقله بأي طريقة سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية أو بالتصوير أو خلاف ذلك دون موافقة كتابية من الناشر مقدمًا .

دار الكتب العلمية للنشـــر والتوزيع

١٨ شارع السبع – إمبابة ت : ٣٤٤٠٩٧٩

أحكام الجنازة

ومايتعلق بالميت من الاحتضار إلى العزاء

إعداد
محمد عبد الرحمن عوض

دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع
١٨ شارع السبع من عسران ترعة السواحل
إمبابة ـ ت : ٣٤٤٠٩٧٩

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذى خلق الموت والحياة للابتلاء وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، اللهم صَلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحابته والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد :

فالموت هو حقيقة الحياة الدنيا . . . والخلود حقيقة الحياة الآخرة . . . والإنسان مرتبط بالحياة ارتباطاً وثيقاً . . سواء برغباته وحاجاته المادية أو شهواته . . . ولقد حرص الإسلام على أن يوفر للمؤمن وسيلة للتوازن حتى لا يطغى حب الدنيا على قلبه ، فيضل ، ولا يطغى الخوف من الآخرة على حياته ، فيهرم .

ونحن - الآن - نعيش عصراً مادياً طاغياً ، فأحببت أن أذكر نفسى - والمسلمين - بأحوال الموت وأحكامه ، عسانا أن نتفكر ونتدبر . .

وإن من ينظر إلى الآيات القرآنية التى تحدثت عن حقيقة الموت يجدها قد لونت الحديث عن الموت حسب الطوائف التى تخاطبها . . .

فحينما وجهت الآيات الحديث إلى الناس عامة وضحت أن الموت كأس دائر يُسقاه الناس جميعا . . فهم فى هذا متساوون ثم يختلف الأمر يوم القيامة من حيث الجزاء ، قال تعالى ﴿ كلُّ نفسٍ ذائقةُ الموتِ . . وإنما تُوفَّوْنَ أجوركُمْ يومَ القيامة فمَنْ زُحزِحَ عن النارِ وأُدخِلَ الجنَّةَ فقد فازَ ﴾ (١) .

نعم فالموت حتم على كل نفس ، وقضى به الله على الأنفس ، فلابد من ذوقه والتجرع بكأسه .

وحينما تحدثت الآيات عن حال الكفار مع الموت وفرارهم منه نجدها تحذرهم من أن ما يفرون منه سيلاقيهم قال تعالى ﴿ قُلْ إنَّ الموتَ الذى تفرُّون منه فإنهُ مُلاقِيكم ﴾ (٢) .

وتأمل حال الفرار . . ثم حال اللقاء غير المتوقع ، وما يحمله من فزع وصدمة لا ينفع

---

(١) آل عمران - ١٨٥

(٢) الجمعة - ٨

معها هروب ولاحسرة ! ! !

بل إن الحديث يتوجه أيضاً إلى هؤلاء المتحصنين بثرواتهم وقصورهم ، ليوضح لهم أن يد الموت ستطولهم مهما تحصنوا قال تعالى ﴿ **أَيْنَمَا تكونوا يُدرككُم الموتُ ولو كُنتم فى بروجٍ مُشيَّدةٍ . . .** ﴾ [1] .

ولكن الآيات حينما تتوجه إلى المؤمنين فإننا نراها تمنن عليهم بنعمة الموت . . قال تعالى ﴿ **كُلُّ مَنْ عليها فَانٍ ويبقى وجهُ ربِك ذو الجلالِ والإكرام فبأى آلاء رَبِّكُما تُكذِّبان** ﴾ [2] .

فإن الفناء . . لا يعد فناء مع بقاء وجه الله تعالى ، ولا يحس بتلك النعمة إلا المؤمن ، ولذلك وردت فى معرض الامتنان على العبيد . . . ﴿ **فَبأىِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبانِ** ﴾ ؟ .

وقد قال صلى الله عليه وسلم : « **الموت تحفة المؤمن** » [3] .

ولهذا نجد من نعمة الله على العبد المؤمن أنه لا يذيقه إلا الموتة الأولى . . قال تعالى . ﴿ .. **لاَ يَذُوقُونَ فيها الموتَ إلاَّ الموتةَ الأُولى ووقَاهُمْ عذابَ الجحيمِ** ﴾ [4] .

وقد رأيت أن أذكر المؤمن بالأحكام المتعلقة بأحوال الموت ، حتى لا تضيع على المؤمن فرحته بلقاء الله تعالى . . وهذه التذكرة ، لما لمسناه من بدع ونسيان فقد ازداد التفاخر والتكاثر فى المآتم ، وظهر الغلو فى الكفن وغيره ، حتى صدق على غالب الناس قوله سبحانه ﴿ **ألهاكُم التكاثرُ حتى زُرْتُم المقابرَ** ﴾ .

فصاروا يتكاثرون فى أحوال الموت ويتفاخرون بمظهرية الاحتفالات ، حتى صار الموت عيداً يذكر بين الوقت والوقت للتباهى والتفاخر والتكاثر . . .

وإننى إذْ أقدم هذه الصفحات للمؤمنين آمل منهم التذكر والتدبر والمنفعة . . وإنى لأرجو أن ينفع الله المؤمنين به وأن يجعله فى ميزان الحسنات وأن يختم لنا بالخير والإيمان .

المؤلف

---

(١) النساء – ٧٨

(٢) الرحمن –

(٣) راجع الأخلاق – السيد عبد الله شبّر

(٤) الدخان – ٥٦

تمهيد

الموت . . رحيل . . نهاية وبداية . . يموت الإنسان بين أهله ، يجود بالروح وتراه ساكنا بلا حركة . . . ولكن هل هو مستريح ؟ أم أنه يعانى من آلام الموت وسكراته ؟

هذا أمر من الغيب لا يعانيه إلاَّ من يكون فيه ولا يحس به إلا صاحبه . . إنه الميت وحده . . ولكن . . لدينا بعض الدلائل والشواهد . . نعاينها فى حياتنا . . فمن جرح أحس ببعض الألم على مقدار الجرح . . حتى يلتئم الجرح ، ويعود الإنسان لحاله ، فتنمو خلاياه . والموت ليس جرحاً ينزف ولكنها حياة تخبو وحركة تهمد ، إن الجرح يؤلم وهو في جزء محدود من الجسد ، والموت فى كل الجسد وفى كل الخلايا . . فما بالك وقد بدأت خلايا الجسم فى الموت ؟

أتخيل عند الموت أن الميت تصاب فيه كل خلية بالاختناق على غرار ما يحس به الإنسان فى ظروف الاختناق فى الغرق أو الدخان من آلام ومعاناة . .

ملايين الخلايا تختنق وتعانى . . فالروح تسلب ، والموت يتقدم ويغزو . . والإنسان مستسلم لا يظهر من أحاسيسه شئ ، اللهم إلا مايظهر من صوت مبحوح أو نفس متحشرج . . وقد روى أنه فى لحظة الموت تحتجز الملائكة ابن آدم ولولا ذلك لفرَّ إلى الفلوات لا يقدر عليه أحد . . وكيف لا وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **الموت أشد شئ خلقه الله . . ثم ما بعده أشد منه** » .

كما روى عنه صلى الله عليه وسلم : « **أن معاينة ملك الموت أشد من مائة ألف ضربة بالسيف** » ويوضح لنا القرآن الكريم بعض جوانب هذه اللحظة الرهيبة ، فلا يعلم إلا الله حقيقتها . قال تعالى ﴿ **فَلَوْلاَ إِذَا بلغتِ الحُلْقومَ ، وأنتم حِينئذٍ تنظرُونَ ، ونحنُ أقربُ إليه منكُمْ ولكِنْ لا تُبصِرُونَ** ﴾ (١) .

وتأمل هذه الآيات التى توضح بعض حقائق هذه اللحظة ، لحظة النهاية . .

فالروح تنكمش إلى الحلقوم . . . وهى تتجمع من جوانب البدن ، وهاهى ذى قد

---

(١) الواقعة ٨٣ ـ ٨٥ .

تجمعت وبلغت الحلقوم ، وهو أول الحلق من جهة الصدر ثم الناس المتجمعون حول المحتضر . . ينظرون وعيونهم مفتوحة . . ولكنهم لا يبصرون شيئاً . . والميت فى هذه اللحظات يعاين الملأ الأعلى ﴿ **ونحن أقربُ إليه منكم** ﴾ . . . فهى لحظات المعاينة واليقظة . . وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يبينها فى قوله : « **الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا** » فالميت يعاين فيها الحقيقة .

وتظهر على الميت بعض العلامات فهو فى السياق إلى الله تعالى ولكن مَنْ حوله من الناس لا يعى هذه الحقيقة ، فيبحث عن طبيب معالج ﴿ . . . **وقيلَ مَنْ راقٍ** ﴾ هل هناك من يعالج : مأخوذة من الرقى [1] . ولكن أين . . فقد بلغت الروح التراقى [2] قال تعالى : ﴿ **كَلاَّ إذَا بلغت التَّراقِيَ وقِيلَ مَنْ راقٍ ؟ وظنَّ أنَّه الفِراقُ ، والتفَّتْ الساقُ بالساقِ** ﴾ [3] .

فهو كالنبات الذابل يلتف بعضه على بعض . . وقد حكى لى صديق أنه رأى محتضراً فى السياق وهو نائم على جنبه الأيمن وكان هذا الصديق بجوار المحتضر فرأى رجله لا تستقر على الرجل الأخرى بل تلتف العليا ساقطة إلى أسفل وكلما حاول ردها لتتمدد على الأخرى سقطت منه فذكَّره ذلك بالآية التى بين أيدينا . . ﴿ **والتفت الساق بالساق** ﴾ . أى عجز الميت – فى السياق – عن إحكام وضع رجله كما يفعل النائم ، نسأل الله حسن الخاتمة وأن يهوِّن علينا سكرات الموت .

* * *

(١) كانت الرقية من طرق العلاج ولا زال لها بعض الطرق الصحيحة رويت عن رسول الله ص

(٢) التراقى جمع رقوة وهي عظام أسفل الرقبة .

(٣) القيامة . ٢٦ ـ ٢٩ .

أحكام عيادة المريض و آدابها

من حق المريض على المعافى أن يعوده ، فعيادة المريض تخفف عنه آلامه وتشعره بأن إخوانه لم ينسوه ، ولم يضيعوه فى ضعفه وضيقه . .

وقد روى مسلم فى صحيحه عن النبى ﷺ أنه قال : « **حق المسلم على المسلم ست ، قيل : وما هن يارسول الله ؟ قال : إذا لقيته فسلم عليه ، وإذا دعاك فأجبه وإذا استنصحك فانصح له وإذا عطس - فحمد الله - فشمّته وإذا مرض فعُدْه ، وإذا مات فاتبعه** » (١) .

والزيارة تعنى المودة والترابط ، وقد قرأنا فى الآثار أن المريض لا يزار فى كل الأمراض ، فهناك أمراض عابرة لا تستدعى أن يعزم الإنسان أمره ، ويشغل بها باله ، فعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **ثلاث لا يعاد صاحبهن : الرمد وصاحب الضرس ، وصاحب الدملة** . . » (٢) وذلك حتى لا يكون الأمر شغلا بلا شاغل .

وقد روى أن رسول الله ﷺ قال : « **لا يعاد المريض إلا بعد ثلاث** » (٣) وعن أنس بن مالك قال : « **كان رسول الله ﷺ إذا فقد الرجل من إخوانه ثلاثة أيام سأل عنه فإن كان غائبا دعا له وإن كان شاهدا زاره وإن كان مريضا عاده** » (٤) . والشاهد أى الحاضر فلم يسافر بل انقطع لعلة غير المرض .

وهذه الأيام الثلاثة فترة التقاط أنفاس فإن عاد الشخص إلى طبيعته وإلا وجبت الزيارة بعدها وعيادة المريض مرة تعتبر واجباً وما فوق ذلك فهو نفل أو تطوع ، فقد روى عن ابن عباس قال : عيادة المريض أول يوم سنة وبعد ذلك تطوع » وفى رواية « نافلة » .

ومن آداب عيادة المريض أن الزائر يستحب له أن يجلس عند رأسه فعن ابن عباس قال : « **كان رسول الله ﷺ إذا عاد المريض جلس عند رأسه** » (٥) .

---

(١) رواه مسلم والترمذى والنسائى .

(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه مسلمة بن على الخشنى وهو ضعيف ؟

(٣) قال فى مجمع الزوائد ج٢ ص٢٩٥ رواه الطبرانى وفيه ضعيف .

(٤) المصدر السابق .

(٥) المصدر السابق .

ولعل السر فى ذلك أن المريض قد تبدو منه بعض الأحوال غير المستحبة كأن ينكشف عنه ثوبه ويظهر من جسمه ما لايحب أن يظهر على أحد ، أو تظهر عورته ، أو يظهر مستور يستحى أن يراه الزائر ، والجلوس عند رأس المريض يعفيه من الحرج .

ومن آداب زيارة المريض أن يشعره الزائر بالمشاركة الوجدانية كى يستقر فى ضميره أن مَنْ حوله يحسون بآلامه ، وهذا يخفف عنه الكثير من المعاناة ويتخذ هذا السلوك مظاهر منها .

* أن يضع يده على جبهته إظهاراً للرحمة به ، فعن أبى هريرة قال : « **عاد رسول الله ﷺ رجلاً من أصحابه به وجع - وأنا معه - فقبض على يده فوضع يده على جبهته ؛ وكان يرى ذلك من تمام عيادة المريض** » (١) .

* ولا بأس فى أن يضع الزائر يده على مكان الألم ويدعو للمريض ، وذلك إذا كان وضع اليد على مكان الألم لا يؤذى المريض أو يسبب له حرجاً أو يكون قريباً من العورة ، فعن عائشة قالت : « **كان رسول الله ﷺ إذا عاد مريضاً يضع يده على المكان الذى يألم ثم يقول : باسم الله لا بأس** » (٢) .

* ويستحب الدعاء العام الشامل بكشف الضر والمعافاة فعن سلمان قال : « **دخل علىَّ رسول الله ﷺ يعودنى فلما أراد أن يخرج قال : ياسلمان : كشف الله ضرك وغفر ذنبك وعافاك فى دينك وجسدك إلى أجلك** » (٣).

وعن أبى الدرداء قال : « **سمعت رسول الله ﷺ يقول : المؤمن إذا مرض لم يؤجر فى مرضه ولكن يكفر عنه** » (٤) .

* * *

(١) المصدر السابق - ص ٢٩٨ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق .

(٤) المصدر السابق .

بعض الأدعية فى مواقف البلاء

روى أن رسول الله ﷺ قال : « **من رأى صاحب بلاء فقال : الحمد لله الذى عافانى مما ابتلاك به ، وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلاً ، لم يصبه ذلك البلاء** » (١) .

زاد فى رواية « فإذا قال ذلك شكر تلك النعمة »

وهذا الحديث عام لكل مسلم يرى بلاء فيحمد الله على المعافاة من مثل هذا البلاء ويحس بفضل الله عليه . . . ويلجأ إلى مولاه الذى عافاه . .

والمسلم يجب أن يكون واعيا لأمره ، ويعلم أن أمره كله خير ، فى السراء يشكر الله . . فيتم له الخير ، وفى الضراء يصبر على البلاء ، فيتم له الثواب والأجر . وفى حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **ومن يتصبر يصبره الله ، وما أعطى أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر . . .** » (٢) .

ولقد قرأنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رغب العبد المؤمن فى ثواب المصيبة إذا هى وقعت به . . وها هو ذا النبى صلى الله عليه وسلم يوضح لنا حقيقة الزهادة فى الدنيا فيقول فيما رواه الترمذى : « . . . **ولكن الزهادة فى الدنيا أن لا تكون بما فى يدك أوثق منك بما فى يد الله ، وأن تكون فى ثواب المصيبة - إذا أتت أصبت بها - أرغب فيها لو أنها أبقيت لك . . .** »

فثواب الله أبقى وأعظم . . وأول واجبات المسلم أن يكتم مانزل به من مصائب ، فلا يشكو ، ولا يتضجر ، بل الأولى أن ينزلها بالله سبحانه وتعالى كما قال ﷺ : « **من أصيب بمصيبة بماله أو فى نفسه فكتمها ولم يشكها إلى الناس كان حقاً على الله أن يغفر له** » (٣) .

وقد روى عن رسول الله ﷺ قال : « **إذا مرض العبد بعث الله إليه ملكين فقال : أنظروا ما يقول لعواده . . فإن هو إذا جاءوه حمد الله وأثنى**

---

(١) رواه الترمذى وقال حسن غريب وابن ماجه وابن السنى والبيهقى وإسناده حسن وطرقه كثيرة يقوى بعضها بعضاً . . وقال ابن القيم إنها صحيحة .

(٢) رواه البخارى ومسلم .

(٣) رواه الطبرانى بإسناد لا بأس به

عليه رفعا ذلك إلى الله ، وهو أعلم ، فيقول : لعبدى علىَّ إن توفيته أن أدخله الجنة . وإن أنا شفيته أن أبدله لحما خيراً من لحمه ودماً خيراً من دمه ، وأن أكفر عنه سيئاته » (١) .

وهذا الحديث يوجه الأنظار إلى الواجب على المؤمن فى المصيبة . . فالمؤمن يحمد الله على كل حال . . فلله ما أخذ ولله ماأعطى . . ولا ينبغى للمؤمن أن يسب المرض ، لأن السب تعبير عن التمرد وعدم الرضا ، وهو مناقض للإسلام . . فالإسلام استسلام لله ورضاً بقضائه كما قال تعالى : ﴿ **مَنْ كانَ يظنُّ أنْ لَنْ ينصرَهُ اللهُ فى الدُّنيا والآخرة فَلْيمْدُدْ بسببٍ إلى السماءِ ثُمَّ لِيقطَعْ فَلْينظُرْ هل يُذهِبنَّ كيدُه ما يغيظُ** ﴾ (٢) .

وعن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على أم السائب (أو أم المسيب) فقال : « **مالك تزفزفين ؟ قالت : الحُمَّى . . . لا بارك الله فيها فقال : لا تسبى الحُمَّى فإنها تذهب خطايا بنى آدم ، كما يذهب الكير خبث الحديد** » (٣) .

ولكن الإنسان ضعيف . وقد يعجزه الألم . . فماذا يفعل ؟ هل يشكو ويتألم ؟ كلا . . ولكن عليه أن يتوجه إلى الله عز وجل . . فعن عثمان بن أبى العاصى رضى الله عنه أنه شكا إلى رسول الله ﷺ وجعاً يجده فى جسده منذ أسلم فقال له رسول الله ﷺ : « **ضع يدك على الذى يألم من جسدك وقل : بسم الله ثلاثاً . وقل سبع مرات : أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر** » (٤) .

وفى رواية : « أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجده »

وقال ﷺ : « **من اشتكى منكم شيئاً أو اشتكاه أخ له فليقل : ربنا الله الذى فى السماء تقدس اسمك ، أمرك فى السماء والأرض كما رحمتك فى السماء فاجعل رحمتك فى الأرض اغفر لنا حوبنا** (٥) **وخطايانا أنت**

---

(١) روى مرسلا وموصولاً . . . (أخرجه مالك) .
(٢) سورة الحج – ١٥ .
(٣) رواه مسلم .
(٤) رواه مالك ومسلم وغيرهما .
(٥) الحوب : الذنب .

رب الطيبين أنزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع فيبرأ »[1] .

ولكن كيف يمكن التوفيق بين هذا وبين ما روى من أن الحمى نزلت بأهل قباء فلقوا منها ما يعلم الله فأتوه ﷺ فشكوا ذلك إليه فقال : « **ما شئتم ؟ إن شئتم دعوت الله فكشفها عنكم ، وإن شئتم أن تكون لكم طهوراً ؟ قالوا : أو تفعل**[2] **؟ قال نعم . . . قالوا فدعها** »[3] .

فكيف يأمر بالدعاء بالشفاء . . ثم يوجه إلى الصبر وتحمل البلاء ؟ والجواب أن رسول الله ﷺ يراعى أحوال المخاطبين فمن وجد فيهم الجلد والصبر والقوة دعاهم إلى الصبر ، ومن وجد فيهم غير ذلك وجههم إلى الدعاء . . وهكذا يراعى حال المؤمن فمن استطاع أن يصبر صبر ، وإلا دعا . . . ويستحب أن يقول المؤمن عند المصيبة : « **إنا لله وإنا إليه راجعون ، فما من مؤمن يقول اللهم أجرنى فى مصيبتى واخلف لى خيراً منها إلا آجره الله تعالى فى مصيبته وأخلف له خيراً منها** » وقد روى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

كما روى : « **إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم عندك أحتسب مصيبتى فآجرنى بها وأبدلنى خيراً منها . . .** »

والمصيبة ليست فى الموت وحده بل فى المرض والإفلاس والجروح وفقد المال وعدوان الظالم ، وغير ذلك .

* * *

(١) رواه أبو داود فى باب كيف الرقى .

(٢) أى هل تطهر الحمى من الذنوب ؟

(٣) رواه أحمد وسنده صحيح .

فضل ذكر الموت

حث رسول الله ﷺ على أن يظل المؤمن ذاكراً للموت فهو مصير كل حى ، كما قال تعالى ﴿ **كُلُّ مَنْ عليها فَانٍ** ﴾ (١) وكما قال سبحانه ﴿ **كُلُّ نفس ذائقةُ الموت وإنما تُوفَّوْنَ أجوركُمْ يوم القيامة ، فمَنْ زُحزِحَ عن النارِ وأُدخل الجنةَ فقد فاز ، وما الحياةُ الدنيا إلاَّ متاعُ الغُرورِ** ﴾ (٢) .

فلما كان الموت هو المصير المحتوم صار ذكره واجباً حتى يظل المؤمن منتبهاً غير غافل عن هذا المصير ، ومتى كان منتبهاً كان أقرب إلى العمل الدائب والاستعداد المستمر لهذا الموقف المصيرى .

ومن فوائد ذكر الموت :

١ – أنه يزهد في الدنيا فيرخص غاليها ، وتهون مصائبها .

٢ – أنه ينجي الإنسان من الشح والبخل بما فى يده ، ويدفعه إلى العمل والإنفاق فى سبيل الله .

٣ – أنه يخلص الإنسان من الرياء والنفاق . . ويضعف تعلقه بالبشر وأسبابه ، ويتعلق بالله .

٤ – أن ذكر الموت يشحذ الهمم ويقوى العزائم كي يزيد الإنسان من العمل الصالح .

٥ – أن ذكر الموت يخلص النفس من الأحقاد ، ويهون عليها مصائب الدنيا .

٦ – كما أن ذكر الموت يدفع إلى أن يسود الحب والتآخى بين الناس ، فلا وقت للكراهية أو الحسد أو العتاب على أمر من أمور الدنيا الفانية .

٧ – ذكر الموت يملأ النفس غنى وقناعة ، فلا تطمع فى رفاهية أو ترف . . فكل ذلك زائل فانٍ .

٨ – وهو يقلل احتمالات التصارع حول متاع الحياة ، ويبعد عن المجتمع الغش والتزوير .

٩ – كما أن ذكر الموت يشفى النفس من الغرور والكبر ويجعل الإنسان يتواضع لله . فلا

---

(١) الرحمن – ٢٦ .

(٢) آل عمران – ١٨٥ .

يتجبر ولا يتكبر ، وكيف يفعل ذلك والموت منتظره ؟ .

١٠ – وذكر الموت توجيه لطاقات البشر للعمل فى سبيل الله والجهاد بالنفس والمال امتثالاً لقول الله تعالى ﴿ **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ** ﴾ (١) .

ولهذا نجد النبى صلى الله عليه وسلم يحثنا على ذكر الموت فيقول ﷺ « **أكثروا ذكر هازم اللذات** » يعنى الموت (٢) .

وعن البراء بن عازب رضى الله عنه قال . « **بينما نحن مع رسول الله ﷺ إذ بصر بجماعة فقال : علام اجتمع عليه هؤلاء ؟ قيل : على قبر يحفرونه . ففزع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم فبدر بين يدى أصحابه مسرعاً حتى انتهى إلى القبر فجثا عليه . قال : فاستقبلته من بين يديه أنظر ما يصنع ، فبكى حتى بل الثرى من دموعه ثم أقبل علينا قال : أى إخوانى . . لمثل اليوم فأعدوا** » (٣) .

إن ذكر الموت يوسع على المؤمن ضيق الدنيا فلا يحزن إذ يراها إلى زوال ، وهو يضيق على المترف ما هو فيه فلا يغتر به لأنه لن يغنى ترفه عنه شيئاً إذا حان الأجل . فعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ مر بمجلس وهم يضحكون فقال : « **أكثروا من ذكر هازم اللذات – أحسبه قال – فإنه ما ذكره أحد فى ضيق من العيش إلا وسعه ولا فى سعة إلا ضيقه عليه** » (٤) .

إن الإنسان يقوى احتماله على الضيق حين يذكر الموت كما أنه يحميه من الافتتان بما هو فيه من النعمة واليُسْر .

* * *

(١) التوبة – ١١١ .

(٢) أخرجه الترمذى والنسائى وابن ماجة بأسانيد صحيحة .

(٣) رواه ابن ماجه وإسناده حسن .

(٤) رواه البزار بإسناد حسن كما روى مثله الترمذى وابن ماجه وغيرهما . . . راجع الترغيب والترهيب للمنذرى ج ٤ ص ٤٣٤ .

الوصية

أهل الميت قد تأخذهم المفاجأة فتذهلهم عما يجب عليهم ، وتردهم عن الصواب ، ويزداد الأمر بهم حين يحاولون التعرف على ما تركه صاحبهم وما له وما عليه ، ولهذا يجب علي كل مؤمن أن يجنب أهله هذه المحنة فلا يصابون فوق مصيبتهم ، ولهذا يجب على المؤمن أن يهتم بأمره ويوصى بالحق إن كان عنده شئ فى ذلك ، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « **ما حق امرئ مسلم له شئ يوصى فيه يبيت ليلتين (وفى رواية : ثلاث ليال) إلا ووصيته مكتوبة عنده . . .** » [1] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « **من مات على وصية مات على سبيل وسنة ومات على تقى وشهادة ومات مغفوراً له** » [2] .

وفى الوصية بيان لما له وما عليه حتى يموت ولا يتعلق به حق لأحد ، ولا يضيع لورثته حق . . ولذلك وضح رسول الله ﷺ خطر من مات دون وصية فقد بلغه موت أحد المسلمين وكان معهم آنفاً [3] فقال : « **سبحان الله : كانها أخذة على غضب ! ! ! المحروم من حُرِم وصيته** » .

قال فى تعليق الترغيب والترهيب : « يعنى أن الحقيق باسم المحروم لحرمانه من الثواب والأجر فى الآخرة هو من حرم كتابة وصيته قبل موته ، حيث قصر فى بيان ما له وما عليه وأهمل فى توضيح المطلوب منه . . . والوصية آخر عمل من أعمال الدنيا شرعت لينتفع بها فى الآخرة فمن حرمها فقد حرم خيراً كثيراً » أ . هـ .

أقول : نظراً لتعقد المعاملات فى عصرنا وسرعة وتنوع هذه المعاملات فإنه يقوم مقام الوصية أن يثبت الرجل بياناً بمعاملاته اليومية ويكون دائم النظر فيها ، بحيث تكون قائمة مقام الوصية والله أعلم [4].

---

(١) رواه الشيخان – ولم يذكر ليلة لأن الحاجات متجددة وقد يغفل الإنسان ليلة ولكنه ينبغى أن يذكر سريعا ويوصى .

(٢) رواه ابن ماجة .

(٣) أى الآن .

(٤) مثاله أن يخصص مفكرة أو دفتراً يدوِّن فيه – فيقول أخذت من فلان كذا وحق فلان كذا ولى عند فلان كذا وأوراق كذا موجودة فى المكان الفلانى . . .

وللوصية خطورتها ، وقد بيَّن رسول الله ﷺ ذلك حين قال : « إن الرجل ليعمل بعمل أهل الخير سبعين سنة فإذا أوصى حاف فى وصيته فيختم له بشر عمله فيدخل النار ، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الشر سبعين سنة فيعدل فى وصيته فيختم له بخير عمله فيدخل الجنة [1] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « **الإضرار فى الوصية من الكبائر** ثم تلا : ﴿ **تلك حدود الله** ﴾ [2] .

وقد وضح المولى سبحانه وتعالى أن الميراث إنما هو فريضة الله . . . حددها سبحانه لصالح المجتمع . . وامتحان لإيمان المؤمن . . . والبعض يحاول أن يتحكم في ماله بعد موته كما كان يتحكم فيه حال حياته ، فيقول أعطوا لفلان كذا ولفلان كذا . . . بل ويحاول أن يحرم من له حق كبعض أقربائه الذين يجب أن يأخذوا شيئاً من ماله ويعز عليه أن يكون لهذا القريب نصيب . . . علماً بأنه يعلم أن أمره إلى الآخرة عما قريب . . . ولكنه الطمع والحسد وعدم الانقياد لأمر الله .

وكثيراً ما نسمع عن شخص قسم أمواله بعقود مسجلة لمن يريد ، وذلك ضمانا ألا تخرج الثروة من داخل العائلة . . . وهو بذلك يرد أمر الله ويرى فى نفسه الحكمة ويرى فى أمر الإسلام نقصاً .

وقد نبه القرآن المسلمين إلى هذه النقطة وحذرهم من الجور والظلم .

قال تعالى عقب توزيع أنصبة الوارثين : ﴿ **مِنْ بَعْد وصيةٍ يُوصِى بها أو دَيْن آباؤكُمْ وأبناؤكُم لا تدرُونَ أيُّهُمْ أقربُ لكُمْ نفعاً فريضةً من الله . .** ﴾ [3] .

فأنت أيها الميت لا تدرى النفع . . ولا تعلم أبواب المنفعة فتحرم من تشاء وتعطى من تشاء . .

كماحذرت الآية بعد السابقة من الضرر ﴿ **مِنْ بَعْدِ وصيةٍ يُوصِى بها أو دَيْن غيرَ مُضَارٌ وصيةً من اللهِ** ﴾ [4] .

---

(١) رواه ابن ماجه والترمذى

(٢) تمام الآية : « ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين »

(٣) النساء ١١ .

(٤) النساء ١٢

فليفهم كل مؤمن أنه تارك الدنيا فليتركها بخير ولا يعصى الله تعالى مع آخر لحظاته فيها . هذا وتجوز الوصية من المال بحيث لا يتعدى الثلث – والثلث كثير – وفى هذا توسعة على المؤمن حتى ينفق فى وجوه الخير ، ولا تجوز الوصية لمن له حق فى الميراث كما قال ﷺ « **لا وصية لوارث** » ، فإذا ماجاوزنا الوصية فى المال والعقار وما شاكل ذلك كان لزاماً علينا أن نشير إلى بعض الجوانب التى لا ينبغى إغفال الوصية فيها .

ومنها الوصية : بسداد الديون ، ولا يتم ذلك إلا بتعريف حقائق هذه الديون ، وترك ما يثبتها ، حتى لا تضيع على أصحابها في الدنيا فيستقضونها فى الآخرة من الحسنات حيث لا درهم ولا دينار .

ومنها الوصية · بالتصرف الجيد والسلوك الحسن عند الممات . . والتشديد على الأهل ألا يتجاوزوا الحد فى النعى والبكاء .

ثم الوصية : بالاعتدال فى الإنفاق وخصوصاً فى المناسبات التي اعتاد الناس عليها كالمآتم وإحياء المناسبات . .

ولا مانع من الوصية بالصغير خيراً كأن يعهد إلى رجل صالح بمتابعة الصغار ورعايتهم إن لم يفتح ذلك باباً من أبواب الفتنة ، كما يجوز الوصية بصدقة أو عمل صالح رجاء الثواب والله أعلم .

* * *

أعمال لا تقبل عند الموت

لقد منح الله الإنسان الإرادة لما ميزه من عقل وتفكير ؛ ومن منطلق هذه الإرادة يأتى الحساب والجزاء على الأعمال . ومن المعلوم أن مسلوب الإرادة لا مسئولية عليه . . فمن فقد عقله فلا حساب عليه فيما نعلم ؛ ومن استكره على عمل فلا حساب عليه كما قال سبحانه ﴿ **إلاَّ مَنْ أُكرِهَ وقلبُه مُطمئنٌ بالإيمانِ** ﴾ وقال ﷺ : « **رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه** » وقال تعالى ﴿ **إلاَّ مَا اضْطُرِرتُمْ إليهِ** ﴾ .

والإنسان فى سياق الموت يكون مسلوب الإرادة وحينئذ لا تقبل منه عدة أعمال :

١ - **الإيمان إن كان كافراً** : فلا يقبل من الكافر إيمان وهو فى سكرات الموت فإذا شهد الكافر أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، لم يقبل منه وقد رفض إيمان فرعون حين أدركه الغرق ولما قال ﴿ **آمنتُ أنَّه لا إلهَ إلاَّ الذى آمنتْ به بنو إسرائيل . ..** ﴾ جاءه الرد ﴿ **آلآن وقدْ عصيتَ قبلُ وكنتَ من المفسدين** ﴾ (سورة يونس : ٩٠ - ٩١)

٢ - **التوبة** : لا تقبل فى السياق والغرغرة وذلك إذا كان مقيماً على معصية مصراً على الذنوب قال تعالى ﴿ **وليستِ التوبةُ للذينَ يعملُونَ السيئاتِ حتَّى إذَا حضرَ أحدَهُمُ الموتُ قال إنى تُبْتُ الآنَ . .** ﴾ (سورة النساء : ١٨)

٣ - **الصدقة بعد طول شح** : فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : يارسول الله أى الصدقة أعظم أجراً ؟ قال : « **أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت : لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان كذا . . .** » رواه الشيخان وغيرهما .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **لأن يتصدق المرء فى حياته وصحته بدرهم خير له من أن يتصدق عند موته بمائة** » رواه أبو داود [1] .

---

(١) راجع الترغيب والترهيب للمنذرى ج ٤ ص ٦١٩ - تعليق محمد خليل هراس .